﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 269]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَرَ في فاصِلَة الآيةِ السَّابقة أنَّه سبحانه واسعٌ عليمٌ، ناسَبَ أنْ يذكُرَ في هذه الآية إيتاءَه الحكمة لمن يشاء من عبادِه، وهو إيتاءٌ مبنيٌّ على سَعَة عطائه، وبالغِ علمِه، ولمَّا قال سبحانه في الآية السَّابقة: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ ذَكَر في هذه الآيةِ مثالًا عظيمًا من أمثلة الفضل الإلهيِّ العظيم، وهو الحكمة، تنبيهًا أنَّ الأمرَ بيد الله وحدَه، وأنَّ على العبادِ – إنْ هُم طلبوها من مظانِّها، ونأَوْا بأنفسِهم عن الشَّيطان ووعودِه – أن يجتهدوا في تحصيلِها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾[1]: أصلُ الحكم: المنع لإصلاحٍ، وهو مأخوذٌ من حَكَمَة الدَّابَّة، وهو اللِّجام، فقيل: حَكَمتُه وحَكَمْتُ الدّابَّة: منعتها من الجِماحِ بالحَكَمَة، وأَحْكَمْتُهَا: جعلت لها حَكَمَة، وكذلك: حَكَمتُ السَّفيه وأحكَمْتُه، والحِكْمَةُ: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادُها على غايةِ الإحكام، ومن الإنسان معرفةُ الموجودات وفعلُ الخيرات.

والحُكْمُ أعمُّ من الحِكْمَة، فكلُّ حِكمَة حُكْمٌ، وليس كلُّ حكم حِكمَةً؛ فإنَّ الحكمَ أنْ يُقضَى بشيء على شيء حكمًا نافذًا بالحكمة، أمَّا الحكمة فهي إصابة الحقِّ بالعلم والعقل.

وقد اختلف في المُرادِ بالحِكْمَةِ على أحَدَ عَشَرَ قَوْلًا، قال ابن عطية: "وهَذِهِ الأقْوالُ كُلُّها ما عَدا قَوْلَ السُّدِّيِّ قَرِيبٌ بَعْضُها مِن بَعْضٍ، لِأنَّ الحِكْمَةَ مَصْدَرٌ مِنَ الإحْكامِ وهو الإتْقانُ في عَمَلٍ أو قَوْلٍ – وكِتابُ اللهِ: حِكْمَةٌ – وسُنَّةُ نَبِيِّهِ: حِكْمَةٌ، وكُلُّ ما ذُكِرَ فَهو جُزْءٌ مِنَ الحِكْمَةِ الَّتِي هي الجِنْسُ"[2].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حكم).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/364، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير: 1/242.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أبرزَت الآيةُ قيمة الحكمة التي يُؤتيها الله لعبادِه المخلصين، فإنَّ الإصابة في القول والفعل من أعظم خيرٍ ينالُه عبدٌ في هذه الدُّنيا، وهو محضُ فضل وعطاءٌ من الله تعالى، ومؤتاه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقِّف على الحكمة، وأنَّ الخَيْر الحقيقيَّ لا يقتصِرُ على المالِ وتوابِعِه بل يتعدَّاه إلى ما هو أعظمُ من ذلك، وهو الخير المُعين على الدَّار الآخرة، وجِماعُه في كلمة الحكمة، ولا يتَّعِظ بمواعظِ الله تعالى- فيذكُر وعْدَه ووعيدَه، فيَمتثِل لِمَا أُمر به، ويَنتهي عمَّا نُهي عنه- إلَّا أصحابُ العقولِ الكاملة المستنيرةِ بنور الله وهدايته، وآثرتِ الآيةُ ذِكرَ أصحاب العقول الزكيَّة؛ لأنَّ الحكمةَ تكون غالبًا في رأي المجموع، لا في رأي فردٍ بعَيْنه.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة الفصل بجملة الاعتراض والتذييل:

في الفصل تنبيه الى نفاسة ما وعظهم الله به، وتنبيههم إلى أنهم قد أصبحوا به حكماء

الآيةُ الكريمة اعتراضٌ وتذييلٌ لما تضمنته آيات الإنفاق من المواعظ والآداب وتلقين الأخلاق الكريمة، مما يكسب العاملين به رجاحة العقل واستقامة العمل. والغايةُ التنبيهُ إلى نفاسة ما وعظهم الله به، وتنبيههم إلى أنهم قد أصبحوا به حكماء بعد أن كانوا في الجاهلية جهلاء[1].

الابْتداءُ بالفعليَّة لا الاسميَّة:

إظهارُ أهميَّة إيتاء الحكمةِ في توفيق العبادِ

ابتدأَت الآيةُ بالفعل المضارع ﴿يُؤْتِي﴾ لا بالاسم، كما في الآية السَّابقة: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ فلم يكنِ النَّظمُ: (الله يُؤتي الحكمة)، ذلك أنَّ المقصودَ هو بيانُ إيتاءِ الحكمة، وإظهارُ بالغِ أهميّتها، وترغيبُ النَّاس بِها، وبيان أنَّها من أعظمِ وأرْجى ما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/61.

ينالُه العبدُ من الخَيْر، وهذا ما تُحقِّقُه الجملةُ الفعليَّة دون الاسميَّة؛ لما يُصوِّره الفعل من الخير المتجدِّد.

دلالةُ صوغ الإيتاء على هيئة المضارِع:

وجه المضارعة أنَّ إيتاءَ الحكمة مستمرٌّ في الزَّمان والمكان والإنسان، فهو إيتاءٌ مستمرٌّ بمشيئة تعالى

دلَّ الفعل المضارِعُ ﴿يُؤْتِي﴾ على التَّجدُّدِ المستَمرّ، بمعنى أنَّ إيتاءَ الحكمة ليس متوقِّفًا على زمنٍ دون آخر، أو على قومٍ دون آخرين، أو على مكانٍ دون مكان، بل هو مستمرٌّ في الزَّمان والمكان والإنسان، فهو إيتاءٌ مستمرٌّ بمشيئة الله تعالى، وهو ما يجعل المُؤمنَ حريصًا أشدَّ الحِرص على نيلها، والتَّحلي بآثارِها.

نُكْتةُ حَذْفِ مفعولِ المشيئة:

إيتاءَ الحكمة مُرتَهنٌ بالاختيار الإلهيّ المطلَق، ولإبراز معنى الاختيار

جرتْ عادَةُ الاستعمال القرآنيّ على حذفِ مفعولِ المشيئة ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾، ولكلِّ سياقٍ قرآنيّ نُكتتُه الخاصَّة به، وفي هذا السِّياق لم يجرِ ذِكرُ المفعول، ولا ذكر قيدٍ كأنْ يقول: من عبادِه المتقين، أو المصلِحين، أو المحسنين؛ ذلك أنَّ إيتاءَ الحكمة مُرتَهنٌ بالاختيار الإلهيّ المطلَق، ولإبرازِ معنى الاختيار، وأنَّها غير مرتبطةٍ بأسبابٍ محدَّدةٍ حُذِفَ مفعولُ المشيئة، وفيه دلالةٌ على عظيم عطاء الله تعالى.

نُكْتةُ بناءِ الفِعْل للمفعولِ:

بيانُ فضيلةِ من نال الحِكمة وشرفه

بُني فعلُ إيتاء الحِكْمةِ على المفعولِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ إمَّا لأنَّ المقصودَ بيانُ فضيلة مَنْ نَالَ الحِكمةَ بقطع النظر عن الفاعل، وإمَّا لتعيُّن الفاعل[1]، ومعرفة النَّاس به، وإمَّا جمعًا بين الأمرَيْن وهو الأظهر؛ فإنَّه لمَّا عُرِفَ المؤتي سبحانه في السِّباق، كان إبرازُ إيتاءِ الحِكمة هو الأَوْلى في نَظْم هذه الجملة، ويؤيِّد ذلك قراءةُ يعقوب: ﴿وَمَن يُؤْتِ ٱلْحِكْمَةَ﴾ على تقدير: ومن يُؤتِه اللهُ الحِكْمَةَ[2].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 2/40.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/64.

وجه جَرَيانُ جُمْلة إيتاء الحكمة مَجْرَى الأمثال:

تصلُحُ جُمْلة إيتاء الحكمة أن تكونَ شاهدًا لكلِّ قولٍ صائِب، ورأيٍ راجِح، وفعلٍ حميد

من الجُمل القرآنيَّة ما يصلُحُ أنْ يكونَ مَثَلًا سائرًا بينَ النّاس، تتلقَّاه الألسُنُ، وتتشنَّفه الأسماع، ومنها قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ذلك أنَّ نظْمَ هذه الجملة بُنِي على شرطٍ وجوابه، وتضمَّن معانيَ تحتاجُها الأممُ والمجتمعات، واكتنَزَ حقائقَ يَحرِصُ عليها العقلاءُ من العلماء، تصلُحُ أن تكونَ شاهدًا لكلِّ قولٍ صائِب، ورأيٍ راجِح، وفعلٍ حميد، ويطمَعُ في نَيْل شرَفِ أن تُقالَ فيه كلُّ متفاخرٍ ومتواضع، وهي من الجمل السَّلِسَة في الألسُن، السَّهلة في الحفظ، وهذا من بلاغة هذه الجملة الفذَّة، وفصاحَةِ هذه الدُّرَّة.

سرُّ إظهارِ ما حقُّه الإضمار:

إظهارُ الحكمةِ لمزيدِ العنايةِ بشأنها

أظهرَتِ الجملةُ القرآنيَّةُ لفظَ ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ في قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وحقُّها الإضْمارُ؛ للاعْتِناء بشَأْن هذا المُظْهَر، وللإشعار بعلَّة الحُكْم[1]، ولبيانِ أنَّها المقصودُ بالمَدْح.

نُكتَةُ تَكرارِ فعل الإيتاء في سياقٍ واحد:

أعظم ما ينالُه العبدُ في هذه الدُّنيا هو الحكمةُ الموصِلة إلى معرفةِ المطلوب المُنْجِي عند الله تعالى

تكرَّر ذكرُ الإيتاءِ في هذا السِّياق ثلاثَ مرَّاتٍ، وفي جميعِها كانت أفعالًا، وهو ما يدُلُّ على أنَّ الأفعال التي تُذكَرُ في السِّياق الواحد من مادَّة واحدةٍ، مقصودةٌ لذاتها، وأنَّ التَّفنُّنَ غيرُ مرادٍ في كتابِ الله تعالى، بل إنَّ الأمر قائمٌ على اختيارِ الألفاظ بناءً على المعاني؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشعراء: 19- 20]، فقد تكرَّر لفظ الفعل أربع مرَّاتٍ، ومعنى الإيتاءِ هو المقصودُ هنا، فإنَّ لفظَ الإيتاءِ يُستعمَل فيما يُنالُ في الدُّنيا، بخلاف الإعطاء، فهو يُستعمَل فيما يُنال في الدُّنيا والآخرة، وذكرُه هنا لبيان أنَّ أعظمَ ما ينالُه العبدُ في هذه الدُّنيا هو الحكمةُ الموصِلة إلى معرفةِ المطلوب المُنْجِي عند الله تعالى.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/262، والآلوسي، روح المعاني: 2/40.

إيثارُ لفظِ الخَيْر على مُرادِفاته ووصفُه بالكثير:

يُعطي لفظُ الخَيْر معانيَ عديدةً من العقل الرَّاجح، والقول الصَّائب، والقرار المتين، والأفعالِ الصَّالحة، ويُشعرُ كذلك من باب الإشارة بما يُصيبُ العبدَ من المالِ الوفير؛ فإنَّ من معاني الخَيْر المال، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: 8]، وهو ما ينسجِم مع وصف الخَيْر بالكثير؛ فإنَّ هذا الوصف ليُنادي على كثرةِ النِّعم، ومنها النِّعم الماديَّة، ويأتلِف بالسِّياق، فإنَّ الآية السَّابقة أشارت إلى وعدِ الله تعالى بالفضل، والمال من فضل الله الذي ينالُه العبد في دنياه، وهو ما يتناسبُ مع مقابلة وعد الشَّيطان بالفَقْر، وفَهْمُ مثل هذه الإشارات القرآنيَّة الخبيئة تحت الأسْتار اللفظيَّة من الحكم الخفيَّة، التي لا تظهرُ إلّا لأولي الألباب.

دلَّ اللفظ على أنواعِ الخير المعنويَّة عبارةً، وأنواع الخير الماديَّة إشارةً

علّة إيثارِ لفظِ التَّذكّر دون التَّفكُّر أو العقل:

يُطلَق الذِّكرُ ويُرادُ به ذكرُ المعاني والألفاظ، والمراد في الآية هو ذكر المعاني التي يقتضيها الشَّرع والعقل، والتَّذكُّر هو تفعُّلٌ بين الذّاكِر والمذكور، وإنَّ من أكثر ما يغيب عن العقل هو المعاني الصَّحيحة بتنزيلِها على مستجدَّات الحياة، وهو ما يُميِّز العقلاء، فإنَّ عقلَهم يستدعي تلك المعاني، ويجعلها حاضِرةً غيرَ غائِبة، ولذلك ذكرتِ الآيةُ أنَّ التَّذكُّرَ هو مزيَّةُ أولي الألباب.

أُوثِر لفظ التذكّر؛ لإنَّ من أكثر ما يغيب عن العقل هو المعاني الصَّحيحة بتنزيلِها على مستجدَّات الحياة، وهو ما يُميِّز العقلاء

التَّعبيرُ بالألباب دون العقول أو النُّهى:

اللُّبُّ هو العقلُ الخالصُ من الشَّوائِب، فهو درجةٌ أعلى من درجة العقل، وملحوظٌ فيه التَّوسُّط والاعتدال، فإنَّ لُبَّ كلِّ شَيْءٍ وسطُه، ولا تكون الحكمةُ إلّا في الوسَطِ المحميِّ من الأطراف، وهذا يدلُّ على أنَّ الألباب ليس مجرَّد وصف ذكاء أو ذاكرة، بل هو وصفُ عقلٍ رفيعٍ في ذاته، عظيم الشّأن في آثاره.

اللُّبُّ أعلى درجةً من العقل، ومحفوظٌ من الأطراف

بلاغةُ استعمالِ الألبابِ جمعًا:

الآراءُ السَّديدة، والأقـوال الحكيمة، إنَّما تصدُر عن الجماعات لا عن الأفراد

استُعملَ لفظُ الألبابِ جمعًا في القرآن الكريم؛ للإشارَةِ إلى أنَّ التَّذكُّر والتَّعقُّلَ يجبُ أنْ يكون فعلًا جماعيًّا، فلا يستَقِلّ الواحِد برأْيِه، فإنَّ الفسادَ يُسارِع إليه، وما كانتِ الحِكمَةُ إلّا في الجماعات النَّاهضة، والأقوام المتكاتفة، وما امتازَتْ أمةٌ بذكاء أفرادِها، بل بائتلافِ جماعاتِها، وحسن تراصِّ عقول رجالاتِها.

دلالةُ الحَصْر في الفاصِلة:

الاعتبارُ والاتِّباعُ لأقـوالِ أولي الألبَاب

جاءَتِ الآيةُ بأسلوبِ الحَصْرِ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ لا لغرَض الإخبار فحسْب، بل لغرَضِ الاعتبار والاتِّباع؛ فإنَّ النَّاس إن علموا أنَّ تذكُّر الحكمة، لا يكون إلّا لأولي الألباب، حرصوا على اتِّباعهم، والعمل بمقتضى كلامِهم، هذا ما يقضي به الحصْرُ، ويُعيِّنه الذِّكْرُ، أمَّا الإخبار المجرَّد، فلا معنى له في ذاته.

ردُّ الفاصِلة على صَدْر الآية:

تحقيقُ بديعِ الإيجازِ بردِّ أوَّلِ الآيةِ على فاصلتِها

من أعجب أفانين الآيات القرآنيَّة، أنْ تُرَدَّ فاصِلَةُ الآية على صدرِها، فقد ذكرتِ الآيةُ أنَّ الحكمةَ يُؤتيها اللّٰه من يشاءُ من عبادِه: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾، والذين يُؤتيهم اللّٰهُ الحكمةَ ذكرتهم فاصِلَةُ الآية: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ فكأنَّه قال: يُؤتي الحكمةَ أولي الألباب؛ وهذا من بديع الإيجاز في القرآن الكريم.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعطاء:

الإيتاء في الجملة أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأن الإعطاء له مطاوع تقول: أعطاني فعطَوْتُ، ولا يقال في الإيتاء: أتاني فأتيتُ، وإنما يقال فأخذتُ، فالفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له؛ لأنك تقول قطعته فانقطع، فيدلُّ على

أنَّ فعل الفاعل كان موقوفًا على قبول في المحل، لولاه ما ثبت المفعول، ولهذا يصحُّ: قطعته فما انقطع، ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز ضربته فانضرب، أو فما انضرب، ولا قتلته فانقتل، ولا فما انقتل؛ لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها، فالإيتاء أقوى من الإعطاء.

وهذا المعنى مراعى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]؛ لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة، وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾، و﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87]؛ لعظم القرآن وشأنه.

وقال في أمر الإعطاء: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]؛ لأنه مورود في الموقف مرتحل عنه قريب إلى منازل العز في الجنة، فعبر فيه بالإعطاء؛ لأنه يترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه، وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: 5]، لما فيه من تكرير الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كلَّ الرضا، وهومفسَّر أيضًا بالشفاعة وهي نظير الكوثر في الانتقال بعد قضاء الحاجة منه، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: 50]؛ لتكرر حدوث ذلك باعتبار الموجودات، وقال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة: 29]؛ لأنها موقوفة على قبول من المسلمين وإنما يعطونها عن كُرْه[1].

(1) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (أتى)، والسيوطي، معترك الأقران: 3/488، والإتقان: 2/362.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»